

يا مصر

أين الطريق؟

الشيخ / هاني حلمي

MANHAG.NET

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمد لله وكفى وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى وآلهِ المستكملين الشرفا.

ثم أما بعد،،

فأسأل الله تبارك وتعالى أن يُعلِمُنا ما ينفعُنا وأن ينفعنا بما علّمنا وأن يزيدنا علمًا ينفعُنا.

اللهم احفظنا بحفظك الذي لا يُرام، واكلأنا بعينك التي لا تنام،

اللهم رد عنا كيد الكائدين،

اللهم قِنا الفِتن ما ظهر منها وما بطن،

يا مُقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك،

يا مُصرف القلوب والأبصار صرف قلوبنا إلى طاعتك.

هل نحن في زمن ابن الأشعث؟ هل تعرفون من هو ابن الأشعث؟

عبد الرحمن بن محمد الأشعث، ذلك الرجل الذي قام بالخروج على الخلافة الأُموية وكانت فتنةً شديدةً دخل فيها عشرات من العلماء، ومن العُبّاد، ومن الصالحين، وقُتلوا فيها عن بَكرة أبيهم.

قال العِجلي لم ينجُ من فتنة ابن الأشعث بالبصرة إلا رجلان محمد بن سيرين ومُطَرِّف بن عبد الله، ولم ينجُ منها بالكوفة إلا إبراهيم النخعي وخيثمة الجُعفي، بمعنى أن كل الناس والعلماء والصالحين، بل كان في هذه الفتنة بعض الصحابة ونالهم بعض الأذى بسببها، مع أنهم لم يُشاركوا فيها البتّة، ومن هؤلاء سيدنا أنس بن مالك -رضي الله عنه- كما سيتبين لنا حينما ندرُس هذه الفتنة وهذا الظرف التاريخي الخطير الذي نحتاج إلى تأمُلِهِ ونحن نرى هذه الفتن من حولنا.

لماذا خرج ابن الأشعث أولاً على الخلافة وعلى الحجاج بن يوسف الثقفي خاصة؟

عندما نقول الحجاج بن يوسف الثقفي إذًا نتحدث عن رأس الظلم، رأس الجبروت، رأس سفاكي الدماء، كان كما قال الإمام الذهبي كان ظلومًا جبارًا ناصِبيًا خبيثًا سفاكًا للدماء، ومع ذلك كان ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء وفصاحة وبلاغة وكان يُعَظِّم القرآن، ورغم هذا يعرف الناس حجم المظالم التي صنعها الحجاج بن يوسف الثقفي.

خرج عليه ابن الأشعث **أولاً:** لظُلْمِهِ ولسفكِهِ الدماء بغير حق.
ثانيًا: لتأخيره الصلوات، ما تأخيره الصلوات؟ كان لا يجعل وقت الصلاة على ميقاته المعلوم، كانوا يؤخرونه ويُصلونه في وقتٍ ليس بالوقت الفاضل للصلوات، الحديث في صحيح مسلم
"عن أبي ذر ؛ قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها ، أو يميتون الصلاة عن وقتها ؟ قال قلت : فما تأمرني ؟ قال صل الصلاة لوقتها . فإن أدركتها معهم فصل . فإنها لك نافلة ولم يذكر خلف : عن وقتها" .
الراوي: أبو ذر الغفاري المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: 648 خلاصة حكم المحدث: صحيح ،

وقال الإمام النووي هذا الحديث فيه دليل من دلائل النبوة لأن هذا حدث في زمن بني أمية وهذا مما قلنا أن ابن الأشعث قام على الحجاج بن يوسف الثقفي بسبب ذلك. طبعًا من البلايا التي صنعها الحجاج بن يوسف الثقفي كما يقول الإمام الذهبي أيضًا حصاره لعبد الله بن الزُبير بالكعبة ورميه للكعبة بالمنجنيق حتى أحرقت، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ما

كان من ولايته على العراق والمشرق عشرين سنة، عشرين سنة على هذا الوضع، ومع هذا كان العلماء يَرون عدم الخروج عليه كما سيتبين لنا.

لكن كان صنيع عبد الرحمن بن الأشعث ذلك، فخرج علماء وفقهاء وقرَّاء وصالحون، خرجوا طوعًا لله على حسب اجتهادهم وعفى الله عنهم، خرجوا مع ابن الأشعث. قال مالك بن ينار : "خرج مع ابن الأشعث 500 من القُرَّاء كلهم يرون أنه لابد أن يُقاتل الحجاج"، وقال الذهبي: لتعرفوا القصة، عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي بعثه الحجاج على زكستان بلاد ما وراء النهر - التي هي بلاد جنوب شرق أسيا ومنطقة إيران الحالية- فكان والي عليها، فلما كان ما كان ثار هناك، أي أعلن الثورة وأقبل في جمعٍ كبير وقام معه علماء وصُلحاء لله تعالى، لأن الحجاج أمات الصلاة، لِجوره، لجبروته.
حدث ذلك سنة 81 من الهجرة، وبدأت بينهم وبين الحجاج حروب ووقائع شرسة حتى قُتِل فيها خلقٌ كثير وانتهت هذه الحروب سنة 83 بهزيمة ابن الأشعث.

يقول الإمام الذهبي : خرج معه الناس وعَمِل مع الحجاج في تلك الحروب المشهورة التي لم يُسمع بمثلها بحيث يُقال أنه عَمِل معهم 81 مصافًا مُعظمها على الحجاج، يعني كانت في البداية الدولة والغلبة لابن الأشعث، لكن في النهاية خُذِلَ ابن الأشعث وانهزم وظفروا به وهَلَك.

الإمام ابن كثير في البداية والنهاية يتحدث عن أحداث سنة 83 -لمن يريد المراجعة والقراءة باستفاضة حول هذه الفتنة العمياء فتنة ابن الأشعث-، قال وفيها فُقِدَ جماعة من القُرَّاء والعلماء الذين كانوا مع ابن الأشعث، منهم من هرب ومنهم من قُتِل في المعركة ومنهم من أسِر فضرب الحجاج عنقه ومنهم من تتبعه الحجاج حتى قتله، وقد سَمَّ منهم خليفة بن خياط طائفة من الأعيان -اسمعوا من الذي خرج مع ابن الأشعث- سعيد بن الجبير، عبد الرحمن بن أبي ليلى أحد أكابر علماء الكوفة، الشعبي، عبد الله بن شداد، محمد بن سعد بن أبي وقاص، أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود - أولاد الصحابة-، عطاء بن السائد، المعرور بن السويد، زُبيد بن الحارث وغيرهم،

وهنا ينبغي أن نعرف شيئًا أن العلماء حينما تكلموا حول هذه الفتنة نَصوا على خطأ ابن الأشعث.

الإمام ابن كثير يقول والعجب كل العجب من هؤلاء الذين بايعوه –أي بايعوا ابن الأشعث- بالإمارة وليس من قريش والنبي ﷺيقول الأئمة من قريش، فكيف يُنَصِبوه؟ المفترض أن يكون خليفة المسلمين حين ذلك، قال وإنما هو كندي من اليمن - هذه مسألة فقهية معلومة في السياسة الشرعية أن الخلافة ينبغي أن تكون في قريش كما قال النبي ﷺوهذه المسألة فيها كلام كثير في واقعها الحالي لاسيما مع غياب الخلافة الإسلامية أصلاً.

قال وقد اجتمع الصحابة يوم السقيفة على أن الإمارة لا تكون إلا في قريش، ومعلوم هذه المسألة التي جعلت الصديق يجعل الأمر في المهاجرين وليس في الأنصار في سقيفة بني ساعدة.

قال ابن كثير ولهذا لما كانت هذه زلة وفلتة لما أخطأوا نشأ بسببها شرٌ كثير فهلك فيها خلقٌ كثير، هذه رؤية الإمام ابن كثير.

بعض العلماء عندما تحدثوا عن هذه الفتنة أثنوا ثناءًا بالغًا –هذا الكلام في التاريخ- على جهود من حاول إطفاء هذه الفتنة وأشهر هؤلاء الحسن البصري - ونريد اليوم نقول مَن لهذه البلاد بأمثال الحسن البصري؟-

قتادة يقول كان مُطرف بن عبد الله بن الشخير إذا كانت الفتنة نهى عنها وهرب هذه هي المسالك كيف نتعامل مع الفتن، مُطرف يعتزلها، يتركها ويفِر منها، أما الحسن البصري فكان ينهى عنها ولا يبرح، وكان مُطرف يقول ما أشَبِّه الحسن إلا برجل يُحذر الناس السيل ويقوم بسنَنِه، أي بطريقه، أي يقف دون أن يحبس.

فشيخ الإسلام ابن تيمية يقول: والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، وهذا شأن الفتن، كما قال الله تعالى{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً } [سورة الأنفال : الآية 25] فإذا وقعت الفتنة لا يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله، هذا الكلام في منهاج السُنة النبوية في الجزء الرابع صفحة رقم 343.

الحسن البصري كان كما قلنا يُحاول إطفاء هذه الفتنة ما استطاع، يقول أيوب السختياني قال لي الحسن ألا تعجب من سعيد بن الجُبير دخل علي فسألني عن قتال الحجاج ومعه بعض الرؤساء -أي أصحاب ابن الأشعث-، كان يقول كيف سعيد بن الجُبير أصلاً فقهه وعلمه يجعله يقع في هذه الفتنة العمياء، لكن هكذا الفتن، وقال سليمان بن علي الربعي لما كانت الفتنة – فتنة ابن الأشعث- قاتل الحجاج هؤلاء فانطلق عُقبة بن عبد الغافر، وأبو الجوزاء، وعبد الله بن غالب، هؤلاء الثلاثة في نفرٍ من نظرائهم فدخلوا على الحسن فقالوا يا أبا سعيد ما تقول

في قتال هذا الطاغية، دخلوا علينا ويقولوا لك ماذا نفعل؟ إخواننا يُقتَّلوا، نحن نريد سفك دماء هذا الرجل الطاغية الذي يسفك دماء المسلمين، ما رأيكم؟، الذي سفك دماء حتى في الحرم، فما تصنع في هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وترك الصلاة وفعل وفعل، وذكروا أفعال الحجاج.

فقال الحسن أرى ألا تُقاتلوه فإنها إن تك عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، فخرجوا من عنده وهم يقولون نطيع هذا العِلج؟! ـ فشتموا الحسن- تمامًا كما يحدُث عادةً في أوقات الفتن، فتجد أسلوب التهميش للعلماء والتنقص لهم والتقليل من مكانتهم فإذا رأوا الشيخ يقول اخرجوا، دافعوا، رُدوا الكذا هؤلاء يُثنون عليه، ويقولون شجاع، جريء، هذه هي الرجال، وإذا وجدوه لا يقول بمثل ذلك نصبوا له العداء، وقالوا عميل، مُداهِن، لا يُنكر، جبان، وكثيرًا ما يحدث ذلك بين أصحاب التعالم، وأصحاب الأهواء بشكلٍ عام، ممن يقل نصيبهم من العلم ويكثُر نصيبهم من الجهل والهوى. فترى الواحد منهم يقول للشيخ إن لم تقل بكذا فستسقط من عيني، وسأقول وأقول وهذه الرموز ينبغي أن تسقط، وهؤلاء ينبغي أن يسكتوا ونحوٌ من ذلك.

فهؤلاء الثلاثة نفر ممن كانوا من أصحاب الفتنة وممن كانوا في جيش ابن الأشعث سَفَهوا الحسن البصري لأنه قال لهم إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.

فخرجوا مع ابن الأشعث فهولاء الثلاثة قُتِلوا جميعًا، وقال أبو التياح شهدت الحسن البصري وسعيد بن أبي الحسن وهو أخو الحسن البصري حين أقبل ابن الأشعث وكان الحسن نهى عن الخروج إلى الحجاج وكان يأمر بالكف- الحسن البصري كان سلبي، الحسن البصري كان خائنًا، كان عميلاً، كان لا يُمثِل هدي السلف، هل هذا يحِق أن يُقال؟!؟.

وسترون كلام أهل العلم بعد هذه الفتنة وكيف تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية خاصة عن صنيع هؤلاء الأعلام من سلفنا الصالح، لكي لا يحدث بعد ذلك أكرمكم الله ونجد بعد ذلك كلام لا يليق بأي حال من الأحوال بالعلماء وكأن العلماء هؤلاء ليس لهم حُرمة ويبدو التناطح والتناظر الشيخ فلان قال والشيخ علان يفعل، فاتقوا الله في ألسنتكم لا سيما في وقت الفتن فمن صمت نجا، أي في الفتن ابتداءًا.

فكان هذا الحسن وسعيد بن أبي الحسن وكان الحسن ينهى عن الخروج إلى الحجاج، وكان يأمر بالكف، وكان سعيد بن أبي الحسن يحضر ثم قال سعيد فيما يقول فما ظنك بأهل الشام إذا لقيناهم غدًا فقلنا والله ما خلعنا أمير المؤمنين، ولا نريد خلعه ولكنا نقمنا عليه استعماله

الحجاج فاعزله عنا، فلما فرغ سعيد من كلامه -انتبهوا جيدًا لهذه المسألة- الأخوين أخاه مختلف معه، سعيد بن أبي الحسن لا يعجبه الوضع ويقول له لابد من التصرف، لابد ألا نكون سلبيان، لابد أن نفعل شيئا.

فلما فرغ سعيد من كلامه تكلم الحسن فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه: "يا أيها الناس إنه والله ما سُلِّط الحجاج عليكم إلا عقوبة فلا تُعارضوا عقوبة الله بالسيف ولكن عليكم بالسكينة والتضرُّع، فإن الله تعالى يقول: { وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ } [سورة المؤمنون :الآية 76]

وما ذكرت من ظني بأهل الشام فإن ظني بهم أن لو جاؤوا فألقمهم الحجاج دنياه ولم يُحلهم على أمر إلا ركبوه هذا ظني بهم - أنا لا أرى أن الدنيا ستكون سلام وأمان وأن الوضع مثلما ترى-، فسأل رجل الحسن وكان يسمع أناس من أهل الشام فقال يا أبا سعيد ما تقول في الفتن؟ أي مثلما حدث من ابن الأشعث ويزيد بن المُهَلَّل، قال لا تكن مع هؤلاء ولا هؤلاء، فقال رجل من أهل الشام ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد؟ انتبهوا لهذه الأسئلة السياسية الخطيرة، التي هي مع من ستقف؟ ستقف مع الناس، ستقف مع هؤلاء الذين يُناصِبوا العداء للحكومات أم ستقف مع الحكومة؟ بَيِّن، قُل، فغضب الحسن البصري ثم قال بيده فخطر بها ثم قال ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد؟ نعم ولا مع أمير المؤمنين.

فهكذا موقف المسلم التثبُّت والابتعاد عن تلكم الفتن وابتعدوا عن ذلك. قال الحسن لو أن الناس إذا ابتلوا من قِبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يُفَرَّج عنهم، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكَلون إليه فوالله ما جاؤوا بيومٍ خيرٍ قط، لكن ماذا سيحدث؟ دم، سيحدث إراقة للدماء.

ولا تُحقن الدماء، ولَزوال الدنيا بأسرها أهون على الله من دم إمريء مسلم، الدماء هذه شديدة وعزيزة إن حُرْمة المسلم أعظم عند الله من حُرمة الكعبة بيتُهُ الأكبر على الأرض، فكيف بالله يكون هذا الأمر وهذا التساهُل، ولنا أن نذكُر ملاحظة أخرى حول فتنة ابن الأشعث وهي أن من نجا وسَلِم ممن شارك في هذه الفتنة ندِم بعد ذلك وتأسف وود أنه لم يُشارك لأن في أمثال هذه الفتن ما يُسمى بالنفق المُظلِم، لا أحد يرى شيئا، عندما يمر ويدخل النفق المُظلم يراه سَد فيعود مرة أُخرى ويقول يا ليتنى لم أدخل.

قال حماد بن زيد ذَكَرَ أيوب السختياني القُرَّاء الذين خرجوا مع ابن الأشعث فقال لا أعلم أحدًا منهم قُتِل إلا قد رُغِب عن مصرعه، يعني يا ليتني ما كان هذا صنيعي، ولا نجا أحدٌ منهم إلا حَمِدَ الله الذي سَلَّمَه.

تصوروا أن الأمر في بلاد المسلمسن آل إلى مزيد من المظالم، أو إلى مزيد من الفوضى، أو إلى فتن متلاحقة، يأتي الأولين يقولوا يا ليتنا ما فعلنا هذا لو ظل الأمر على ما هو عليه كان أرحم، هذا سيناريو من السيناريوهات التي لا يريد الناس أن ينظروا إليها، وإذا دخلنا في الفتنة قلَّ من الناس من يعرف أن يخرج منها، هذه هي مصيبة الفتن، إذا وقعت لا تعرف كيف يمكنك أن تخرج من لأوائها، لذلك العلماء حذّروا هذا التحذير الشديد من الوقوع في هذه الفتن لأنها تذهب بعقول الناس، لأنها كما قال بعض أشياخ الشام من أعطى من نفسه أسباب الفتنة أولاً لم ينجُ أخِرًا ولو كان جاهدًا، مهما يفعل ليخرج فإن الموضوع فات.

قالوا ولا نجا أحدٌ من فتنة ابن الأشعث إلا حَمِدَ الله الذي سلَّمَه وندِمِ على ما كان منه. قال محمد بن طلحة رآني زُبيد اليامي -وهو أحد الناس الذين شاركوا في هذه الفتنة العمياء-، رآني مع العلاء بن عبد الكريم ونحن نضحك فقال لو شهدتم الجماجم ما ضحكت ولوددت لو أن يدي قُطّعَت من العضد وأني لم أكن شهدت هذا، ليتني لم أدخل بينهم. ولقد كان هذا درسًا استفاد منه الناس بعد ذلك.

كان منصور بن المعتمر يختلف إلى زُبيد اليامي فذكر أن أهل البيت يُقتَّلون، يُريده على الخروج مع زيد بن علي، فقال زُبيد ما أنا بخارج إلا مع نبي وما أنا بواجده، والله لما يكون النبي أخرج معه، إنما غير ذلك لا لهذه الثورات والانقلابات التي تُراق فيها الدماء.

ثم يُقال هؤلاء شهداء الحرية، لكن ما تصنعون بعد ذلك من المآلات والاعتبارات.

قال مالك بن دينار لقيت معبد الجهني بمكة بعد ابن الأشعث وهو جريح وكان قاتَل الحجاج فقال لقيت الفقهاء والناس لم أرَ مثل الحسن، قال لهم لقد مر علي الناس ورأيت مشايخ وعلماء وصالحين ولم أرَ مثل الحسن البصري يا ليتنا أطعناه -كأنه كان يندم على قتال الحجاج- بل كان بعضهم إذا ذكر مُشاركته في هذه الأعمال يبكي بكاءًا شديدًا ندمًا على ما وقع منه.

قال أيوب عن أبي قُلابة لما انجلت فتنة ابن الأشعث كنا في مجلس ومعنا مسلم بن يسار، فكان مسلم يقول الحمد لله الذي أنجاني من هذه الفتنة فوالله ما رميت فيها بسهم ولا طعنت فيها برمح ولا ضربت فيها بسيف.
قال أبو قُلابة: فقلت له فما ظنك يا مسلم بجاهل نظر إليك وقال والله ما قام مسلم بن يسار سيد القُرَّاء هذا المقام إلا وهو يراه حقًا فقاتل حتى قُتَل، قال فبكى وقال: والذي نفسي بيده حتى تمنى أن لم يكن قد وقع في ذلك -مسلم بن يسار كان يحمد الله –عز وجل- أنه لم يقع في هذه الفتنة، قال له أبو قُلابة ما بالك بالناس الذين فُتِنوا بك؟ الناس الذين عندما رأوك فعلوا مثلك؟

وقالوا مسلم بن يسار على جلالة قدره نزل فنزل فقاتل فقُتِل فبكى مسلم بن يسار حتى أن أبو قُلابة تمنى أن لم يكن قال له مثل ذلك وندم على ما صنع.كان البعض يرى أن من لم يُشارك في هذه الفتنة على قدره، وأن من شارك فيها نَقُص قدره بسبب دخوله في هذه الفتنة.

فكان مسلم بن يسار لا يَفْضُل عليه أحد في ذلك الزمان حتى فعل تلك الفعلة فلقيه أبو قُلابة فقال والله لا أعود أبدًا فقال أبو قُلابة: إن شاء الله فتلى أبو قُلابة {إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ} [سورة الأعراف:الآية 155] فلما صنع ذلك عَلِمَ مسلم أنه قد أخطأ خطأً كبيرًا.

وقال ابن عون كان مسلم بن يسار عند الناس أرفع من الحسن البصري فلما وقعت الفتنة خفَّ مسلم وأبطأوا عن الحسن فبعد ذلك وُضِع شأن مسلم ورُفِعَ شأن الحسن، لأن الفتنة لا يقرأها إلا عالِم، إلا حكيم، وأشد الناس حكمة وأشد الناس عِلمًا هو الذي يعرف في وقت الفتنة أن يُدلي بالرأي الأسَّد الذي يتبين بعد ذلك أنه كان الصواب وليت الناس ما دخلوا ولا عرفوا هذه اللوثات.

ملاحظة أخرى حول فتنة ابن الأشعث أن من يقرأ في كتب التاريخ حوادث السنين من سنة 83 إلى سنة 95، هذا ما بعد النفق المُظلم، أي بعدما انجلت فتنة ابن الأشعث ظلوا 12 عامًا لا شك ولا ريب يتحسر كل من يقرأ ما حدث بعد هذه الفتنة، فلا تخلوا هذه السنوات من قتيلٍ أو أسيرٍ للحجاج بسبب هذه الفتنة، ومن هؤلاء علماء كبار وزُهَّاد وصالحون كانت لهم سِيَراً عطرة لا يُمَل من قراءتها.

وصدق ظن مُطرِّف بن عبد الله لما قالوا له هذا عبد الرحمن بن الأشعث أقبل، قال: والله لقد رابني أمران لئن ظَهَرَ لا يقوم لله دين، ولئن ظُهِرَ عليه لا يزالون أذلة إلى يوم الدين-لو كسب قد لا يقوم بعد ذلك لهم دين ولن تجتمع كلمة المسلمين وستكون فتنة وقد كان- ولئن ظُهِرَ عليه -لو انهزموا منه ففي هذه الحالة ضاعت الأمور بسبب بطشه الشديد.

قال ابن كثير دخلت سنة 83 وفيها فُقد جماعة من القُرّاء والعلماء وأخذ يعددهم مثل عمران بن عصام الضبعي كان من علماء أهل البصرة وكان صالحًا عابدًا أُتي به أسيرًا إلى الحجاج فقال له اشهد على نفسك بالكفر-قل أنك كافر حتى أُطلِقك- فقال والله إني ما كفرت بالله منذ أمنت به فأمر به الحجاج فضَرَبَ عُنقه.

وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن هذا أخذ القرآن عن علي بن أبي طالب رأسًا وخَرَجَ مع ابن الأشعث فأُتي به للحجاج أسيرًا فضُربَ عُنُقُه بين يديه صبرًا، يعني ضربوا عُنُقُه وتَشَفَّى الحجاج فيه.

سنة 84 قتل الحجاج جماعة -هؤلاء أصبح اسمهم الثوار، اسمهم الخارجين على الحكم، الذين قلبوا نظام الحكم- ماذا فعل بهم؟... منهم أيوب بن القِرِّيَّة وكان فصيحًا بليغًا واعظًا -الداعية الفصيح البليغ الأخ فلان-، هذا أيوب بن القِرِّيَّة ماذا صنع فيه الحجاج؟، قتله صبرًا بين يديه.

وغير هؤلاء جماعة منهم من قتله الحجاج ومنهم سعيد بن الجُبَير، انظروا الوقت الذي صبر فيه على سعيد بن الجُبير، انتبهوا الموضوع انتهى سنة 85 صبر عليه حتى سنة 94 ولاحظوا في هذه السنة قتل الحجاج سعيد بن الجُبير وفي السنة التالية قُتِل، في السنة التالية مات الحجاج فكان انتقام الله –عزوجل- لكن الشاهد سعيد بن الجُبير قُتِلَ في هذه السنة ومعلوم ما كان من مُحاجَّات ما بين سعيد بن الجُبير وبين الحجاج حتى أن سعيد تلفظ بكلام مُؤدَّاه والله لولا ما أعرف من نفسي ما سُلِّطَت علي.

بعض العلماء سُجِن فقط منهم مجاهد إمام التفسير الكبير هذا حُبس ولازال في السجن حتى مات الحجاج، الإمام أحمد عَلَقَ على هذه الأحداث فقال قُتِل سعيد بن الجُبير وما على الأرض أحدٌ إلا وهو مُحتاج أو مُفتقر إلى علمه ويُقال إن الحجاج لم يُسلط بعده على أحد، أي أن أخر واحد قُتِل كان سعيد بن الجُبير، قال ابن كثير وقد ذكرنا صفة مقتله إياه وقد رويت آثار غريبة في صفة مقتله أكثرها لا يصح، وقد عوقب الحجاج بعده وعجل بالعقوبة فلم يلبث بعده إلا فأخذه الله أخذ عزيزٍ مقتدر، لكن فتنة والفتنة استمرت بعده 12 سنة، أو نحو من ذلك، بدأت سنة 83 وانتهت سنة 95، عندما مات الحجاج، وصار الناس بعد موت ابن الأشعث الذي مات سنة 85، في 10 سنين من الاضطهاد والقهر.

هذه الفتنة تعلمنا منها شيئًا مهمًا أن أي قول أو عمل مهما كان لابد أن يُعرض على الكتاب والسُنة، فإن وافق الكتاب والسُنة فذلك، وإن خالف فلا يُقبل، وإن اشتُبه الأمر نرجع إلى الأصول التي تحكُم مسألة الفتنة لا ينبغي أن نصدُر إلا عن علم في مثل هذه الفتن الحالكة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة الجزء الرابع صفحة 528، والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحُصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين

ومن أهل الجنة فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم ومع هذا لم يحمدوا على ما فعلوه من القتال وهم أعظم قدرًا عند الله وأحسن نية من غيرهم، كذلك ابن الأشعث كان معه من فيهم خُلُق ودين ولكن الله يغفر لهم، وقال مما يتعلق بهذا الباب أن يُعلم أن الرجل العظيم في العلم والدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة قد يَحصُل منه نوع من الاجتهاد -حتى تتقوا الله في العلماء للمرة الألف، وحتى لا تتهموا الناس- يحدُث منه نوع من الاجتهاد مقرون بالظن ونوعٌ من الهوى الخفي، اسمعوا مرة أخرى، بالله اكتبوا العبارة حتى تفهموا، عندي اجتهاد وعندي ذاتيات مظلوم مقهور سُجِن اضطهد عُذِب حدث له، فبالتالي بلا شك لدي ذاتيات لا تجردني منها لا تقول لي أني لست إنسان حتى أحكم بموضوعية تامة، لا شئ اسمه موضوعية تامة فلا شك أنه قد يحكم بنوع من الاجتهاد ويغلب على ظنه شئ ويكون عنده نوعٌ من الهوى الخفي فيحُصل بسبب ذلك ما لا ينبغي اتباعه فيه، وإن كان من أولياء الله المتقين، ومثل هذا إذا وقع يصير فتنة لطائفتين، لماذا؟ لأن الشيخ فلان مشارك فطائفة تُعظمه فتريد تصويب ذلك الفعل واتباعه عليه، وطائفة تذُمه فتجعل ذلك قادحًا في ولايته وتقواه، هذا كذا وكذا وكذا، هذا يريد أن يعمل فتنة في الناس، بل إنهم يقدحون في تقواه بل في بره وكونه من أهل الجنة بل في إيمانه حتى تُخرجه عن الإيمان، بعض الناس تبدأ في تكفير فلان وتكفير علان، ونبدأ نجد لوثة جديدة من لوثات التكفير في الأمة.

من الأمور المهمة والملاحظات الخطيرة أنه في الانقلابات والمشاكل والثورات وما شابه، عادةً يبدأ بعض الناس يقول أن هذا نوع من الخروج على الحكام ويدخل في مسألة الخروج على الحكام وحقيقة مسألة الخروج على الحاكم فصل فيها العماء والفقهاء، واشترطوا فيها أربعة شروط، حمل السلاح والخروج على إمام شرعي بتأويل سائغ وأن يكون لهم شوكة، ففي مسألة الخروج على الإمام الشرعي كثير من الناس حين يخرج يقول بكفر هذا الحاكم، لأنه بالتالي يُسَوِغ لنفسه بذلك الخروج عليه.

لذلك الشعبي أحد الأسماء الجليلة القدر في الفقه الإسلامي كل من له تخصص في الدراسات الإسلامية والدراسات الفقهية يعرف من هو الشعبي، لما حدثت فتنة ابن الأشعث قال: أشهد أنه مؤمن بالطاغوت كافر بالله، فكفروا الحجاج.

ابن عبد البر قال والحجاج بن يوسف كان من أهل العلم طائفة تُكَفره، وقال ابن حجر كفره جماعة كسعيد بن الجُبير والناخعي ومُجاهد وعاصم بن الناجود والشعبي كما قلنا، ومع تكفيره له لم يخرجوا عليه حتى ظنوا أن الشوكة لهم، افهموا لأنه هناك بعض الناس يرون بكفر الحكام وبالتالي يرون أنه لا ينبغي الخروج عليهم لعدم وجود الشوكة، فإن شعروا بالشوكة قالوا بالخروج، وأن عندهم من القدرة والقوة والعصبية ما يتفوقون به على الحجاج، حتى وقع ما لم يكونوا يحتسبوا.

فهل يعي هذا الدرس أولئك الذين يخرجون على السلاطين بغير تحسب للقدرة فقط بالعصبيات، ومما يُعجب منه أن هناك بعض الشباب يعلنون مثل هذه الشعارات ويخرجون ويتلفظون بأشياء في هذا المعنى، إعلان التمرد ونحو من ذلك، فيقعون في إشكاليات كُبرى، فبلا شك كانت فتنة عمياء وبمناسبة مسألة التكفيرهذه فأقول أنه لا يحدث ذلك إلا بتحقق شروط، إلا بإنتفاء موانع، وأن ذلك لأهل الحِل والعقد، وأن هذا لا ينبغي أن يخوض فيه طويلبة العلم، وأن هذه مسائل في غاية الحساسية والخطورة، وبالتالي فلا ينبغي أن يُخاض فيها هكذا فعندنا مسائل مرتبطة بما يُسمى بتكفير المُعين ومسائل وضوابط العلماء تكلموا فيها، فلابد من معرفتها ويُترك الأمر لأهل العلم ولا ينبغي أن يُخاض في هذه المسائل بهذه الطريقة التي لا يتحقق فيها ضوابط الكلام في مسألة الإيمان والكفر وغير ذلك، فنسأل الله العفو والعافية.

بلا شك هذه الفتنة كانت فتنة تاريخية صار في واقع الناس أمثالها.

شيخ الإسلام ابن تيمية له كلام في منهاج السنة الجزء الرابع صفحة 527، أريد أن أختم به بعد أن أضع في النهاية حلاً عمليًا في كيفية التعامل مع الفتنة، كلام شيخ الإسلام في هذه المسألة والتعليق على ما حدث، واسمعوه جيدًا لعله يضع لكم النقاط على الحروف في الإشكاليات الكثيرة المعاصرة، قال: ففي الجُملة أهل السنة يجتهدون في طاعة الله ورسوله بحسب الإمكان كما قال الله تعالى "فاتقوا الله ما استطعتم"، وقال النبي ﷺ (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)، ويعلمون أن الله تعالى بعث محمدًا ﷺبصلاح العباد في المعاش والميعاد، وأنه أمر بالصلاح ونهى عن الفساد، فإذا كان الفعل فيه صلاحٌ وفسادٌ رجحوا الراجح منهما، فإذا كان صلاحه أكثر من فساده رجحوا فعله، وإن كان فساده أكثر من صلاحه رجحوا تركه، إذًا هناك شئ اسمه الموازنات في وقت الفتن، هناك شئ اسمه درء المفسدة، هناك شئ اسمه إذا كانت الفتنة فكانت المصلحة محتملة وكانت المفسدة متحققة فلا يجوز الخوض في مثل ذلك، الله تبارك وتعالى بعث رسوله بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، فلو حدث أن عُطلت المصالح وحُصِلت المفاسد فهنا يكون الخلل والخطأ، قال فإذا تولى خليفة من الخلفاء كيزيد وعبد الملك والمنصور وغيرهم ممن كانت عليهم

علامات استفهام كبرى، فإما أن يُقال يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يولى غيره، كما يفعله من يرى السيف، قال ابن تيمية -رحمه الله- فهذا رأي فاسد فإن مفسدة هذا الرأي أعظم من مصلحته، اسمعوا مرة أخرى، وقل من خرج عن إمام ذي سلطان إلا كان ما تَوَلّد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير، قال كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة هم أهل الحِرة، وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق، وأمثال هؤلاء، وغاية هؤلاء إما أن يُغلبوا وإما أن يغلبوا ففي الغالب إن غلبوا قال ابن تيمية وإما أن يغلبوا ثم يزول ملكهم، فلا يكون لهم عاقبة، ففي النهاية الأحكام الثورية هذه لا تستديم ويترتب عليها خللٌ عظيم.

قال فإن عبد الله بن على وأبا مسلم هما اللذان قتلا خلقًا كثيرًا وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور، الناس الذين خرجوا عبد الله بن على وأبو مسلم وهؤلاء الناس بعد ذلك جاء من قتلهم وثورة نتجت عنها ثورة، فالناس ستكون سعيدة باللعبة، اليوم إذا صارت الغلبة لفريق، الفريق الثاني يجلس ينظر؟ فماذا فعلنا، لا نجعلها حروب أهلية، ويكون خلاص مسكنا الحكم سنة، فنعمل انتخابات مرة أخرى، ويقولون أنتم فعلتم بنا كذا وكذا، فيكون حكم مرة أخرى، ماذا نفعل الطوائف قامت على بعضها البعض، إذا المسلمون اليوم كذا فأين حقوقنا نحن الأقباط فالأقباط تقوم على المسلمين، الإسلاميين هم الذين مسكوا إذًا اليساريين والليبراليين ماذا سيفعلوا؟ نحن أيضًا نعملل، لا الليبراليين إذًا مازال الجهاد قائمًا إذًا هيا الإسلاميين وهكذا، أما أهل الحِرة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم فهُزموا وهُزم أصحابهم، قال فلا أقاموا دينًا ولا أبقوا دنيا.

كان الحسن يقول إن الحجاج عذاب الله فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم ولكن عليكم بالإستكانة والتَضَرُع وقد قال الله –جل وعلا- "وقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون"، وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة كما صنع ذلك عبد الله بن عمر وسعيد بن المُسَيب وعلي بن الحُسين وغيرهم كانوا ينهون عام الحِرة عن الخروج على يزيد، الحسن البصري ومُجاهد وغيرهما نهوا عن الخروج في فتنة ابن الأشعث، وقد استقر أمر أهل السُنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺوصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، أصبح منصوص عليها في كتب العقيدة ألا نفعل ذلك، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلقٌ كثير من أهل العلم والدين، وباب قتال أهل البغي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشتبه بالقتال في الفتنة، مرة أخرى، الخروج على الحكام الذين هم أهل البغي، هذا الكلام في هذا الباب مُشتبه جدًا، ابن تيمية يقول لنا انتبهوا هذا الكلام العلماء يقعوا فيها في مشكلة، هل هذا القتال فتنة أم هذا القتال تحت مسمى صحيح للخروج؟ هنا المشكلة، وهنا يقع الناس في هذه

المسألة المضطربة، قال ومن تأمل الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺواعتبر أيضًا اعتبار أولي الأبصار علم أن الذي جاءت به النصوص النبوية خير الأمور وهذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي ﷺمن الصبر على الجور -جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم- هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والميعاد، وأن من خالف ذلك مُتعمدًا أو مُخطأً لم يَحصُل بفعله صلاح بل فساد، لهذا أثنى النبي ﷺعلى الحسن بن علي -رضي الله عنه- قال: (إن ابني هذا سيد وسَيُصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) ولم يُثني النبي ﷺعلى أحد لا بقتالٍ في فتنة ولا بخروجٍ على الأئمة، لم يَقُل الذي سيفعل كذا سيكون أفضل ولا نزع يد من طاعة ولا مُفارقة للجماعة.

فبلا شك نحن بحاجة لمثل هذا الكلام المشرق المبني على الكتاب والسُنة، وبلا شك أن الخروج من الفتنة أولاً يكون بالتحذير من الوقوع فيها بإعتزالها ما استطعنا قال النبي ﷺكما في الصحيحين (ستكون فتن القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، ومن تشرف لها تستشرفه -أي تُهلِكُه- ومن وجد ملجأً أو معاذًا فليُعِذ به -أي الذي يجد له مكان يأوي إليه ويبتعد عن هذه الفتنة فالفرار من الفتنة من الدين-)، كما بوب الإمام البخاري فأول شئ ينبغي أن نعتزلها، الأمر الثاني أن نحاول ما استطعنا لزوم الطاعة وعدم مفارقة الجماعة حتى لا يترتب على ذلك من الفتن ما هو أشد، ولنعلم ثالثًا أن الإحجام مُقدمٌ على الإقدام، وأن الكف أولى من الفعل في الفتنة، حتى أن مُطَرِف بن عبد الله كان يقول لأن يسألني ربي -عز وجل- يوم القيامة يا مُطرِف ألا فعلت، (ألم تخرج معهم)، أحب إلي من أن يقول لِمَ فعلت؟، هذه هي الكلمة التي تُجيب على سؤال بعض الناس التي تقول كيف أعرف الحق من الباطل، أقول هو كذلك هذا هو المنهج كيف أعرف الحق من الباطل ، الحق والباطل هنا إذا وقفت أمام رب العالمين سألك لماذا خرجت معهم؟ أصعب كثيرًا من أن يقول لك لِمَ لم تخرج معهم؟، قال لأن يسألني ربي -عز وجل- يوم القيامة يا مُطرِف ألا فعلت، أحب إلي من أن يقول لِمَ فعلت؟.

ومن الأمور التي تخُص مسألة الفتنة أن لا يُقدَم فيها بأي حالٍ من الأحوال إلا ببصيرة، إلا بمعرفة، إلا بفهم، إلا بدراسة ووعي للواقع، دراسة بوعي للمصالح والمفاسد، لابد من التثبُت دائمًا لا نتعجل، لابد أن نستشعر مسئولية الكلمة ونفكر في كل كلمة، ونحن في هذه الفتن ينبغي أن نُكثِر من الاستشارة ولا سيما ما يكون بين أهل العِلم بعضهم مع بعض، لابد من الموازنة كما قُلت بين المصالح والمفاسد والدراسة العميقة لأي أمرٍ من الأمور ينبغي أن نأخذ الجانب الإيماني، عبادةٌ في الهرج كهجرةٍ إلي، لابد من لزوم الدعاء من التعوذ من الفتن ما ظهر منها وما بطن كما كان يصنع ﷺلابد أن نأخذ هذا المنهاج النبوي من أن نُكثر من

إصلاح الحال مع الله -تبارك وتعالى- لاستدفاع الفتن لولا عبادٌ رُكَع وبهائم رُتَّع وأطفالٌ رُضَع لَصُبَّ علينا العذاب صبًا ونسأل الله -عز وجل- أن يحقن دماء المسلمين وأن يُخرجنا من هذه الفتنة ونحن سالمون وأقول "واتقوا فتنة لا تُصيبين الذين ظلموا منكم خاصة".

ونسأل الله أن يُعافي المسلمين وأن يحقِنَ دماء المسلمين وأن يُبَصِر أهل الإسلام، وأن يجعل مئال أمرنا إلى خير، وأن يولَي أمورنا خيارنا ولا يُوَلي أمورنا شرارنا أن يُهئ لهذه الأمة أمر رُشد يُعزُ فيه أهل طاعته ويُذل فيه أهل معصيته وأن يدفع عنا وعنكم الأذى.اللهم رُد عنا كيد كل ذي كيد وشر كل ذي شر وحِقد كل ذي حِقد،

اللهم انصرنا ولا تنصُر علينا، وامكر لنا ولا تمكُر علينا وانصرنا على من بغى علينا،

اللهم إنا مغلوبون فانتصر، اللهم إنا مغلوبون فانتصر،

اللهم فرج كربات المسلمين، اللهم فرج كربات المسلمين، اللهم فرج كربات المسلمين،

اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم، اللهم لا تُعذبنا فأنت علينا قادر،

اللهم ائذن بالفتح وائذن بالنصر وائذن بالفرج وائذن بتنفيس الكربات، اللهم عاجلاً غير أجِل، اللهم عاجلاً غير أجِل، اللهم عاجلاً غير أجِل، اللهم عاجلاً غير أجِل،

يا ولي الإسلام وأهله مسكنا بالإسلام حتى نلقاك عليه، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام إن أردت بقومٍ فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين.

وصلى اللهم وسلم بارك على النبي الأمين.

سبحان اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.